(النقد الجزائري المعاصر واضطراب المصطلح النقدي)

لخضر بلقاق -طالب دكتوراه-
د/مسعود عبد الوهاب، جامعة الجلفة

الملخص :
وجد النقد الجزائري المعاصر وسط سيل من المصطلحات النقدية التي حملتها معها المناهج والمفاهيم والنظريات النقدية الغربية مما جعل النقد العربي يتخبط في أزمة مصطلحية نتيجة التجاذب بين التراث النقدي العربي وما يزخر به وثقافة غربية مستعارة أمام الانبهار بكل ما هو غربي بما يشهده من تطور علمي ومعرفي وفي كل المجالات.
وأمام هذه الوضعية التي يعيشها نقدنا العربي نادى بعض النقاد بضرورة التصدي لهذه الأزمة في كتاباتهم النقدية من خلال بعض المؤتمرات الأدبية ،من أمثال أحمد مطلوب وفاضل ثامر ومن الجزائر نشير إلى جهود كل من رشيد بن مالك ويوسف وغليسي ، لكن رغم ذلك تظل هذه الجهود فردية وغير كافية لتخرج بالنقد الجزائري والعربي من الأزمة الراهنة.
الكلمات المفتاحية: النقد؛الجزائري؛المصطلح؛المعاصر؛ اضطراب؛النقد الجزائري.

Résumé

La critique arabe moderne fait face à un déferlement torrentiel sans précédent de terminologies critiques que l'Occident apporte avec ses méthodologies, concepts et théories critiques différents et diversifiés. Ce qui fait patauger la critique arabe dans une crise terminologique résultant d'un état de tiraillement entre le patrimoine critique arabe foisonnant et une culture occidentale qui lui est étrangère, et tout ce que l'accompagne d'admiration et de fascination sans bornes à tout ce qui s'apparente à l'Occident et son essor scientifique et culturel dans tous les domaines.

Devant cette situation que notre critique arabe vit, certains critiques prônent l'importance de contrecarrer cette crise et d' y remédier dans leurs écrits critiques à travers quelques conférences littéraires, tels que Ahmed METLOUB et Fadel THAMEUR, et en Algérie, on cite, à titre illustratif, les efforts fournis par Rachid BENMALEK, Youssef OUAGHLISSI, mais tous ces efforts restent des tentatives individuelles et incapables de faire sortir la critique arabe de sa crise actuelle.

تمهيد:
المصطلح ثمرة الجهد الفكري وأيقونة التطور العلمي ، وأساس التواصل المعرفي ، كما أن المصطلحات هي سبيل تفاعل الحضارات والثقافات العالمية المختلفة، أو هي اتحاد اللغات العالمية المتباعدة، أو كما قال الناقد " يوسف وغليسي " في كتابه " إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" أن المصطلح هو لغة العولمة ".
وقد وجد نقدنا الأدبي الجزائري المعاصر نفسه أمام إشكالية كبيرة جراء انفتاحه على المناهج النقدية الغربية المعاصرة ومحاولته ركوب تيار الحداثة، ليجد نفسه أمام كم هائل من المصطلحات التي حملتها المفاهيم النقدية الطارئة على نقدنا المعاصر وقبل التطرق إلى هذه الإشكالية لابد من أخذ فكرة ولو موجزة عن مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالمصطلح التعريف اللغوي والاصطلاحي وآليات صياغة المصطلح ثم التطرق إلى وظائف المصطلح أو وظائف الفعل الاصطلاحي كما قال الناقد يوسف وغليسي ثم أسباب هذه الأزمة و أهم جهود الباحثين العرب للحد منها.

أولا – مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا :
-المصطلح لغة : كلمة "مصطلح" مأخوذة من المادة اللغوية صلح الدالة على صلاح الشيء وصلوحه أي أنه نافع ، ففي المعجم الوسيط

« صلح ، صلاحا ، وصلوحا " زال عنه الفساد ...، واصطلح القوم زال ما بينهم من خلاف ، وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا...»[1]
و في لسان العرب : « الصلح تصالح القوم بينهم ، و الصلح : السلم ، وقد اصطلحوا وصالحوا و أصلحوا وتصالحوا و أصّلحوا..» [2]
و قد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الصاد واللام و الحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد [3]
كما ذهب يوسف وغليسي إلى أن دلالة الكلمة لا تتعدى معنى الاتفاق و التواضع و المصالحة و التعارف [4]
-المصطلح اصطلاحا :
يعرف الجرجاني المصطلح بقوله : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ، لمناسبة بينهما ، وقيل : الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد ، و قيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معنيين »[5]
يفهم من تعريف الجرجاني للمصطلح بأنه تسمية لشيء ما يتفق عليها وهو تغيير المعنى اللغوي للشيء أو إخراجه عن معناه الأول .
أما " عبد السلام المسدي " فيعرف المصطلحات كالآتي : « المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه وينهضون بأعبائه ، ويأتمنهم الناس عليه ، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقا تاما » [6]
وهنا يقدم لنا عبد السلام المسدي إضافة جديدة لمفهوم المصطلح بأنه لا يكفي حضور النية اتجاه مصطلحات فن ما لتداولها بدون وجود تطابق تام بين دلالة المصطلح الموضوع وبين ما حدده أهل الاختصاص من مقاصد له.
وقد أورد " عمر عيلان " تعريفا للمصطلح في كتاب له بأنه : « كلمة أو مجموع كلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية ، وتسميتها في إطار معين ، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها »[7]
أشار عمر عيلان في مفهومه للمصطلح أن هذا الأخير قد يكون أكثر من كلمة تخرج من دلالتها اللفظية والمعجمية لتشمل تصورات فكرية بإطلاق اسم عليها وتضبط مفهومها.
كما ورد تعريف المصطلح في كتاب لـ: " عبد الغني بارة " بأنه «تسمية فنية تقوم على دقتها و وضوحها معرفة الأشياء و الظواهر ، بسيطها و مركبها ، ثابتها و متغيرها »[8]
و لفظة مصطلح في اللغات الأوربية المختلفة كلمات متقاربة النطق و الرسم ، من طراز Terme في الفرنسية و Term في الأنجليزية ، و Termine في الايطالية و Termino في الاسبانية و Termo في البرتغالية ، و كلها مشتقة من الكلمة اللاتينية Terminus بمعنى الحد أو المدى أو النهاية [9]
يتضح من جملة المفاهيم السابقة للمصطلح أنه يمثل :

- ✓ تسمية يتفق عليها لشيء ما.
- ✓ يتجاوز المصطلح الدلالة اللفظية و المعجمية لتأطير تصورات ذهنية.
- ✓ التطابق التام بين المصطلح الموضوع وما حدده أهل الاختصاص من دلالة.
- ✓ قد يتجاوز المصطلح الكلمة الواحدة.
- ✓ اتسام المصطلح بالدقة و الوضوح.

أما عن المصطلح النقدي فهو يمثل أساس الخطاب النقدي ، وهو رمز لغوي مفرد أو مركب أحادي الدلالة منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح ، متفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي ، أو يرجى منه ذلك[10]
كما أن المصطلح النقدي جزء من المصطلح العام وهو « اللفظ الذي يسمى مفهوما نقديا لدى اتجاه نقدي ما ويعتبر من ألفاظ هذا الاتجاه أو من مصطلحاته » ، أو هو « مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد » [11]
وهو أيضا « النسق الفكري المترابط الذي يبحث من خلاله عملية الإبداع الفني ونختبر على ضوئه طبيعة الأعمال الفنية وسيكولوجية مبدعها ، و العناصر التي شكلت ذوقه »[12]

ومن خلال هذا المفهوم نخلص إلى أن المصطلح النقدي هو الذي يؤطر التصورات الفكرية التي ينتجها فعل الممارسة العلمية النقدية وفق ضوابط منهجية من شأنها توضيح دلالاته.

ولقد تبلورت المصطلحات النقدية العربية من مزيج من التصورات ، فأستمد بعضها من عالم الأعراب وخيامهم كالبيت والعمود ، ومن عالم الثياب كحسن الديباجة ، رقيق الحواشي ، مهلهل ومن عالم الحروب والشجاعة كمتين الأسر .

وأيضا قد استمدت مصطلحات من عالم الطبيعة مثل – هذا شعر فيه ماء رونق- ، و من الحياة الاجتماعية كالطبع والصنعة ومن تجارب العرب في الترجمة كاللفظ و المعنى .

وهكذا نجد أن البواكير الأولى للمصطلحات النقدية تحمل معطيات الحياة العربية من الجاهلية على غرار المعلقات و القصائد إلى صدر الإسلام – النقائض- إلى عصور الانحطاط المعارضات و الموشحات .

وفي ظل ما يعرفه الغرب من تطور حضاري وفي جميع النواحي بما في ذلك العلمية والمعرفية مما أدى إلى ظهور كم هائل من المصطلحات لمواكبة هذا التطور، فما إن تظهر نظرية من النظريات الجديدة إلا وصحبها سيل من المصطلحات التي تمثل لتلك المفاهيم الحديثة وتقدمها للمتلقي لاسيما في مجال النقد الأدبي، ولمواكبة هذا الركب ومسايرة هذا الزخم وجد العرب أنفسهم مجبرين على صياغة ما يناسب هذه المصطلحات،وهذه المفاهيم باللغة العربية حسب خصوصيات هذه اللغة ، ولصياغة هذه المصطلحات أو إعادة صياغة هذه المصطلحات هناك عدة طرائق من أهمها الاشتقاق و النحت و المجاز و التعريب و الترجمة .

* الاشتقاق : وهو استخراج لفظ عن آخر متفق معه في المعنى و الحروف الأصلية [13] ، أو هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى ، وهو نوعان اشتقاق صغير وآخر كبير.

* النحت : النحت في الاصطلاح أن ينتزع من كلمتين أو أكثر، كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه ، فهو بذلك جنس من الاختصار يلجأ إليه لمعالجة الكلمات الأوربية المتكونة من عنصرين، يفيد الأول معنى والثاني معنى آخر فيتكون منهما معنى ثالث جديد ، يفهم من هذا التعريف أن اللجوء إلى النحت يتم في حالة كون المصطلحات الأوربية مركبة ، فالنحت بهذه الطريقة يقابله التركيب في اللغات الأوربية ، والكلمات المنحوتة لا تقبل إلا إذا كان ذوقها سليما، و لتحقيق هذا الأخير يجب أن تكون الحروف المكونة لها منسجمة و خاضعة لأحكام العربية ، وزيادة على ذلك لابد من صياغتها على وزن عربي، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن عبد المالك مرتاض لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الشروط ولاسيما عند نحته مثلا من " التحليل النفسي " مصطلح " التحلسفي" و قد عبر عن ذلك قائلا : « يعاب على استعمالنا هذا أنه خرج عن البناء العربي القائم ونحن نجيب عن هذا أن اللغة العلمية هي غير الأدبية »[14]

و رغم الخلاف القائم بخصوص قضية اعتبار النحت من الوسائل المعتمدة في صياغة المصطلحات إلا أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على النحت عند الضرورة، ونص القرار على أنه يجوز النحت عندما تلجأ إليه الضرورة العلمية ، ونظرا لقرار المجمع القائل بجواز النحت عند الضرورة فإن النحت سيظل وسيلة من وسائل وضع المصطلحات في اللغة العربية لكنه ليس أفضل من الاشتقاق الذي يعتبر أفضل الطرق لتكوين كلمات جديدة دالة على معان جديدة، لذلك كان محقا من قال : « يجب أن لا نلجأ إلى النحت إلا إذا أعيانا الاشتقاق »[15]

* المجاز : المجاز هو انتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، وهذا ما قد يعبر عنه في موضع آخر بالاستعارة، والمجاز وسيلة تستعين بها اللغة لكي تطور نفسها بالمحافظة على الوحدات المعجمية نفسها والتي تتسع دلاليا لتستوعب دلالات جديدة

* التعريب : يعرف التعريب بأنه « صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية وقد استعملت كلمة المعرب بمعنى اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب ليكون على منهاج كلامهم »[16] وهو عند البعض إدخال اللفظ الأجنبي بذاته و بمادته إلى اللغة العربية، و يصطلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللغة العربية .

* الترجمة : تعد الترجمة من الوسائل الهامة للرقي اللغوي، وخاصة في وقتنا هذا أين كثرت المنشورات باللغات الأجنبية، فالاطلاع على هذه الأخيرة يتطلب ترجمتها إلى اللغة العربية، ونظرا لأهمية الترجمة الكبيرة فقد تصدى لدراستها كثير من الباحثين ومن هؤلاء

نذكر جورج مونان الذي عرفها بقوله : « الترجمة عملية اتصال غايتها نقل رسالة من مرسل إلى متلق أو مستقبل »[17]
ولما كانت الترجمة وسيلة من وسائل الاتصال، فهي تستوجب نقل المعنى والمبنى معا، هذا يعني أن هذه العملية تقتضي نقل المحتوى الدلالي للنص من لغة الأصل إلى لغة النقل، حيث يتغير شكل الدلالة و ينتقل معه المعنى بوصفه عاملا سابقا على الكتابة واللغة فالشكل والمعنى مرتبطان ارتباطا شديدا حيث كل تغير في نقل الشكل يصاحبه تغير في نقل المعنى والعكس صحيح.
وينبغي للمترجم أن يحرص على ملائمة المصطلح المنقول للغة المنقول إليها، يقول المسدي: « إن المصطلح النقدي تزداد حظوظ مقبوليته في التداخل والتأثير ، كلما توفرت فيه مقومات الموائمة الإبداعية »[18] ويشترط في ترجمة المصطلح كذلك الأمانة و الدقة .
ثانيا ـ وظائف المصطلح : تكلم الناقد يوسف وغليسي على خمس وظائف للمصطلح[19] نوجزها كما يلي :
1-الوظيفة اللسانية :
يثبت المصطلح مدى قدرة اللغة على استيعاب المفاهيم مهما كانت حداثتها، وكذلك مرونتهـا وقدرتها على مواكبة التطور بما تتسم به من اتساع جذورها المعجمية.
2-الوظيفة المعرفية :
يمثل المصطلح لغة العلم والمعرفة فلا وجود لعلم دون مصطلحية " مجموعة مصطلحـات " لذا فقد أحسـن علماؤنا القدامى صنعا حين جعلـوا من المصطلحات " مفاتيح العلم " و " أوائل الصناعات ".
فلا عجب –إذن- أن يمثل أحد الباحثين منزلة المصطلح من العلم بمنزلة " الجهاز العصبي من الكائن الحي عليه يقوم وجوده و به يتيسر بقاؤه ، إذ أن المصطلح تراكم مقولي يكتنز وحـده نظريات العلـم وأطروحاته .
3-الوظيفة التواصلية : المصطلح وسيلة تواصل من الدرجة الأولى في عالم العلم والمعرفة وبدونه يصبح النص مجرد سرد متسلسل لأفكار و جمع مرتب لها.
4-الوظيفة الاقتصادية : بقدرة النص على اختزان كم هائل من التصورات الذهنية والأفكار واختزالها بدقة ووضوح تجعله يقوم بوظيفة اقتصادية مهمة في عالم العلم والمعرفة.
5-الوظيفة الحضارية : لا شك أن اللغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز ، إنها ملتقى الثقافات الإنسانية وهي الجسر الحضاري الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض وتتجلى هذه الوظيفة خصوصا في آلية " الاقتراض " التي لا غنى لأية لغة عنها،حيث تقترض اللغات بعضها من بعض صفات صوتية تظل شاهدا على حضور لغة ما، حضورا تاريخيا ومعرفيا وحضاريا في نسيج لغة أخرى، وتتحول هذه المصطلحات بفعل الاقتراض إلى كلمات دولية من الصعب أن تحتكرها لغة معينة، ومن الصعب أن تنسب إلى لغة بذاتها، فيتحول المصطلح إلى وسيلة لغوية وثقافية للتقارب الحضاري بين الأمم المختلفة فالمصطلح حسب الناقد يوسف وغليسي هو " لغة العولمة " .
البديهي أن العقل البشري جهاز فعال في التقاط الدلالات الكامنة وراء الأفعال السلوكية أو المواقف الثقافية أو المفاهيم والتصورات المعرفية ، وحين يتم استيعاب هذه الدلالات والمفاهيم بمعانيها العميقة عند ذلك يمكنه بأي شكل من الأشكال أن يتفاعل معها، وعن طريق هذا التفاعل يستطيع اكتساب الخبرات والمعارف الثقافية واللغوية والإنسانية ، وبالتالي فإن كل تصور معرفي خال من الدلالة لا يؤثر في العقل ، ولا يتم التفاعل الحقيقي معه وبالتالي لا يمكن أن يقدم لنا إضافة جديدة ذات قيمة معرفية وعلمية لذلك فإن الناقد إذا نقل تصورا معرفيا من لغة أجنبية عن لغة ثقافته الأصلية خاصة إذا كان هذا المفهوم غامض أو غير محدد الدلالة،فإن عملية النقل تكون حرفية للشيء المنقول،ومن ثم لا تكون هناك فرصة للعقل للتفاعل معه لغويا أو ثقافيا أو حضاريا،وفي غياب مثل هذا التفاعل لا يضيف هذا المفهوم المنقول أي شيء في مجال المعرفة أو الثقافة،وبذلك يكون العقل قد اغترب عن ذلك المفهوم أو ذلك التصور .
هذا ما فعله ناقدنا الجديد ومازال يفعله ومفاهيم ومناهج النقد الغربي المعاصر ,فالناقد قد استخدم عقلـه وإطاره الثقافي والمعرفي أداة صماء في نقل هذه المفاهيم من لغتها الأصلية إلى لغته العربية دون تفاعل فكري أو نفسي أو ثقافي أو حضاري.
فحين نقل لنا مثلا مفهوم البنيوية التداولية Structuralisme Génétique أو مفهومVision du Monde رؤية العالم أو مفهوم

Structure Poétiqueبنية شعرية، أو غيرها من المفاهيم التي شاع استخدامها في نصوص النقد الجديد،نلاحظ أن هذه المفاهيم ترجمت ترجمة حرفية ونلاحظ أيضا أنها لم تحدد مدلولاتها اللغة والثقافة العربية فالناقد قد نقل المفاهيم دون تكوُّن لها في بنائه الذهني .

وهذا ما يجعلنا نذهب إلى القول أن الناقد قد نقــل المفاهيم النقدية الحديثــة دون تفاعل فكري أو ثقافي،ونقصد بالتفاعل الفكري بأنّه تلك العمليات الفكرية التى يقوم بها الناقد عندما يقوم بتحليل تلك المفاهيم المنقولة، وذلك انطلاقا من مرجعيته الفكرية والثقافية،بالإضافة إلى بيئته الثقافية التى لها خصوصيتها ولا يمكن بأي حال من الأحوال ملائمة هذه المفاهيم النقدية لبيئات مختلفة ولم ينجح ذلك إلا بعد محاولات عديدة للتطبيع ، وقد يظن البعض أن ركوب درب قطار الحداثة إنما يكون بنقل المفاهيم النقد الغربي المعاصرة دون و عي واستيعاب وتحليل وكأننا بعد ذلك النقل نكون قد أصبحنا من النقاد المحدثين لأن الكثير من هؤلاء اعتبر أن حداثة الفكر النقدي تتمثل في تقمص الاصطلاحات والمفاهيم النقدية الغربية البراقة التي تسيطر على المناخ النقدي الغربي ، رغم عدم وضوحها وتداخل معانيها بالنسبة إلينا على الأقل.

ويمكن القول أن المصطلحات المتداولة في الساحة النقدية العربية لم تعرف الاستقرار بعد فهي في مرحلة التجريب كما تعاني من كثير من الاضطراب و الفوضى.

كما هناك ظاهرة أخرى أدت إلى تداخل الحقول المصطلحية في الخطاب النقدي العربي الجديد ألا و هي التركيب المنهجي و الذي ظهـر بأشكال مختلفة كالمنهـج المركب لدى "عبد المالك مرتاض " والذي يعد رائده الأول في النقد العربي في كتاباته العديدة أين حاول التوفيق بين المناهج المختلفة بجمعها في دراسة واحدة.

ومن البديهي التساؤل عن ظاهرة تعدد الترجمات العربية لمصطلح أجنبي واحد تعددا يفوق التوقع ، ومثالا على ذلك قد ترجم مصطلح Paradignatique و Syntagnatique بأكثر من أربعين مصطلحا عربيا ، كما ترجم مصطلح Ecart / Déviation بما يتجاوز الأربعون ترجمة ، و ترجم مصطلح Sémiotique و Sémiologie بست و ثلاثين مصطلحا ، كما ترجم مصطلح Poétique بإثنيـــن و ثلاثين مصطلحا ، و أيضا مصطلح Linguistique بأربعة و عشرين مصطلحا و مصطلحي Connotation و Dénotation بخمس و عشرين و أربعة و عشرين ترجمة على التوالي .

و قد تأسف الناقد يوسف وغليسي في كتابه " إشكالية المصطلح " على الاختلاف الاصطلاحي العربي الكبير رغم أن الدلالة اللغوية للاصطلاح هي الاتفاق و ضرب مثلا على ترجمة كتاب دوسوسير على مدى أربع سنوات خمس ترجمات كاملة في خمس أقطار عربية متجاورة لا علاقة لأي منها بالأخرى لا في العنوان و لا في الكتابة الموجودة لاسم المؤلف و أضاف معلقا أن هذا الصنيع موصول حتما بالمقولة العامية الساخرة "اتفق العرب ألا يتفقوا " .

وأضاف الناقد على أنه يتوجب على الناقد العربي المعاصر قبل التفكير في التنسيق الاصطلاحي مع غيره هو أحوج ما يكون إلى التصالح مع ذاته لأننا رأينا بعضهم يقترح مصطلحا ثم ينبذه ويأتي بغيره غدا ، مما يؤجل حلم توحيد الاصطلاح إلى الآتي الذي قد لا يأتي، ويجعل توحيد المصطلحات سرابا هاربا وطموحا ميؤوسا منه .

أزمة المصطلح النقدي نتجت من الفوضى التي يعيشها التأليف و الترجمة و مما زادها خللا و اضطرابا :

أ- اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين و هم ثلاثة أنواع [20] :

الأول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية.

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية .

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف.

لقد أدى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها إلى أن يأخذ من يقرأ باللغة الأجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما يحدث بين المغرب العربي والمشرق العربي ، أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطرابا ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ولم يستطع أن يوازن بين ماضيه وبين ما يفرضه الواقع الجديد.

ب-اختلاف الأوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي ومثال ذلك مصطلح

" الصورة " فهي عند العرب غيرها عند الغربيين، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والأفكار الذاتية ، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعني بالدلالة النفسية[21]

وهي عند غيرهم "رسم قوامة الكلمات " وهي « إعادة إنتاج عقلية ، ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية»[22]

إذن كيف يفهم الباحث هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور ؟ وكيف يحدد مصطلحها ويستعمله ويديره في كتاباته وهو يجهل دلالته الدقيقة ؟.

ج- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة.

د- الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء.

وقد لاحظ الدكتور "يوسف وغليسي" بأن جلّ الدراسات والبحوث متفقة على وصف المصطلحات اللسانية والسيميائية التي هي المعين الأساس للقاموس النقدي الجديد بالمشكلة، فالدكتور " محمد حلمي خليل" يقرر أن المصطلحـــات اللسانية « أصبحت تشكل عبئا كبيرا على الـــدارس الأكاديمي المبـــتدئ و المتقدم »[23] أما عبد القادر الفاسي يعتقد أن أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي، وهي عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة ولا بالاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية [24]

بينما يرى الدكتور رشيد بن مالك أن « ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر تتسم بالاضطراب الذي يحول دون بث وتلقي الرسالة العلمية ويؤدي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن ينبني عليها التواصل العلمي »[25]

كما يرى أيضا أن « فحصا دقيقا للمصطلحية المسخرة في الدراسات النقدية يكشف إلى أي حد هي عميقة حالة الفوضى والتذبذب لأن هذا الاضطراب المصطلحي الذي يعد السمة الغالبة في البحوث النقدية صادر عن التسرع في تبني هذا التيار أو ذاك ، وعن غياب رغبة حقيقية في تمثل وفهم جوهر السؤال »[26]

و كان قد رأى سابقا توفيق الزيدي أن « المصطلح النقدي اللساني ومسألة نقله إلى العربية يشكل عقبة كبرى أمام هذا البحث ، إذ هو يمر بفترة تأرجح و غموض أدت إلى عملية ترادف وخلط كبيرين »[27]

و أيضا لاحظ الدكتور وهب رومية هذه الظاهرة المرضية للنقد العربي الجديد ، ومن التوظيف الاصطلاحي المضطرب حيث غدا « الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي المعاصر معاناة قاسية»[28]

ولتوضيح حجم وإشكالية اضطراب المصطلح في النقد الجزائري المعاصر، سنحاول التطرق إلى مصطلح " التناص " عند عبد الملك مرتاض، هذا الأخير الذي يشهد له بالتضلّع في حقل النقد، حيث كان سباقا لتجريب مناهج النقد الحديثة والمعاصرة وتطبيقها على نصوص عربية حديثة وأخرى من التراث، لكن عرفت المقاربات النقدية لمرتاض تذبذبا واضطرابا للمصطلح، وإذا عدنا إلى الكلام عن مصطلح التناص لدى مرتاض، فإنّ هذا الأخير يقرّ أنّ هذا المفهوم موجود وحاضر بشكل بارز في النقد العربي القديم ولكنه اشتهر بمصطلح (السرقات الشعرية)، وفحوى هذا الأخير هو الاقتباس الخفي أو الظاهر للألفاظ أو الجمل من سياق وإعادة صياغتها في سياق آخر [29] ولكن مرتاض لم يستسقي هذا المصطلح بل كره استعماله، لأنه يحمل في ثناياه إهانة وإدانة للشعراء بالسرقة، ولكنه يقع في نفس الخطأ الذي لم يتقبله في مصطلح السرقات الشعرية، فهو يصف الكاتب حين يتناص مع كاتب آخر بـــ (الناهب) بقوله: « فمن الكتّاب يزعم أن ما يكتبه لم يخطر بخلد أحد قبله ولا فكّر فيه ولا التفت إليه...إنّ كل كاتب ناهب من حيث لا يشعر ولا يريد»[30] أما المصطلح التراثي الثاني (الاقتباس) فقد فضّل عليه مرتاض مصطلح التناص الذي قال عنه أنّه أدّق[31] وبالنسبة لجذور مصطلح التناص لدى الغرب فإنّ مرتاض يرى أنّه ابتدأ مع " جان جيرودو" بمصطلح السرقات الأدبية لكن الفضل حسب مرتاض يعود إلى باختين الذي أعطى للمصطلح أبعاده، وقولبه في شكل نظرية، لكن مصطلح التناص لم يظهر معه، بل استعمل (البنى الحوارية للنص) ، (كرنفالية النص)، (تعددية أصوات اللغة)، ثم أنّ الفضل يعود لجوليا كرستيفا وجهودها في التقعيد لهذه النظرية.

ومن التعريفات التي اقترحها مرتاض للتناص أنّه « استبدال نصوص سابقة بنص حاضر دون قصد» [32]وهو أيضا حسبه « الوقوع

في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا وأفكار كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته وخفايا وعيه فمفهوم التناص يعني ضرورة الإقرار بنسبية الإبداع»[33] ولم يرضى مرتاض بمصطلح التناص بل ذهب يبحث له عن بديل أكثر دقة، فاقترح مصطلح (التكاتب)، وبرر تفضيله لهذا المصطلح عن مصطلح التناص بأنّ التناص عام يشمل اللغة والأسلوب والأفكار، أما التكاتب فإنه يخص تأثر الكاتب بكتابات أخرى بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة.

كما اضطرب مرتاض في ترجمة مصطلح "Intertextualité" فهو يترجمه تارة بالتناص وتارة أخرى بالتناصية، معا في نص واحد، « لقد سبق لنا في كتاباتنا الأخيرة أن تناولنا الحديث عن التناص أو التناصية على أصح ما ينبغي أن يقابل المفهوم الغربي Intertextualité إمّا تنظيرا أو تطبيقا»[34] وفي موضع آخر يقول: « والمسألة برمتها أي ما يتمخض للتناص والمتناص معا يطلق عليها كما نأتي ذلك فعلا في النقد المعاصر (التناص) فإذا انزلقنا إلى البحث عن الماهية والمفهوم والعلاقات أي في صميم النظرية فذلك هو Intertextualité »[35]

أما المصطلح الأخير الذي رشحه مرتاض لأن يكون بديلا عن التناص هو مصطلح المقارءة، حيث قال:« القراءة سلوك حضاري فكري ذهني روحي جمالي ثقافي هي عادة متحضرة في دأب متأصل هي مثاقفة داعية، هي ما يمكن أن نطلق عليه في لغتنا الخاصة (مقارءة) أو هي كما يعبر عنه بعض الغربيين (تناص) »[36]

إنّ هذا الاضطراب المصطلحي لدى عبد الملك مرتاض لمصطلح التناص، ما هو إلاّ نموذج عن حجم الإشكالية التي يتخبط فيها النقد الجزائري المعاصر، والنقد العربي عموما،وللحد من هذه الأزمة الحادة التي يعيشها النقد العربي المعاصر وما يترتب عنها من آثار سلبية حاول بعض الباحثين العرب التصدي لها بوضع مقترحات تحد من تأثيرات الأزمة الراهنة، نذكر منها رؤية كل من أحمد مطلوب وفاضل ثامر، فقد قدمت مقترحاتهما خلال مؤتمر نظم بجامعة اليرموك في الأردن عام ألف وتسعمائة وأربعة وتسعون وقد كان محور هذا المؤتمر المصطلح اللغوي و النقدي.

وقد قدم أحمد مطلوب جملة من الاقتراحات للحد من هذه الأزمة نذكر منها:[37]

أولا : رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغييرها في العهود المختلفة وذلك من أجل تدوين المصطلحات التي تزال شائعة في الدراسات الأدبية النقدية الحديثة، والاستعانة بها في وضع المصطلحات الجديدة لما لم يوضع له، أو وضع له مصطلح ولم يشع، أو لم يتفق عليه الأدباء والباحثون والنقاد، ونقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة إلى المعاني الجديدة بطريقة التوليد.

ثانيا : جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد.

ثالثا : جرد أهم كتب مصطلحات الأدب و النقد الحديثة و المعاصرة.

رابعا : جرد أهم كتب الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفنون، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي.

خامسا : جرد أهم كتب اللسانيات، لما بينها وبين الأدب ونقده من وشائج وصلات ظهرت في التيارات الحديثة والمناهج الجديدة.

سادسا : جرد أهم كتب الأدب والنقد واللسانيات المترجمة .

سابعا : الاطلاع على بعض موسوعات الأدب الأجنبي ونقده وبلغتها الأصلية.

ثامنا : الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية الأجنبية لتحديد معنى الاصطلاح اللغوي، والوقوف على دلالته كما تصورها تلك المعاجم، والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وطريقة انتقال دلالته.

أما فاضل ثامر فيقدم المقترحات التالية :[38]

- العمل على وضع معجم اصطلاحي خاص بمصطلحات النقد الأدبي، يوحد الجهود الفردية والجماعية ويضع قواسم مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنقاد العرب.
- السعي لتأسيس مصرف للمصطلحات النقدية.
- إعادة فحص المصطلح النقدي واللساني والبلاغي الموروث، والعمل على إمكانية إعادة تشغيل وتداول بعض مفرداته، تجنبا

للقطيعة الحاصلة في الوقت الحاضر بين المصطلح الموروث والمصطلح الحديث.

- العمل على تأصيل المصطلح النقدي وتجذيره، و تحريره من الارتباط المباشر بعلوم اجتماعية مجاورة مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاناسة .

- إعادة النظر في الكثير من المصطلحات النقدية المتداولة ، والتي استخدمت بطريقة اعتباطية ولم تكن دقيقة ، مثل مصطلحات " الشعر المنثور " و " الشعر الحر " ، و "الشعر المنطلق".

- إعادة فحص الرصيد الاصطلاحي عند مختلف النقاد ، وملاحظة سيرورة تداولية المصطلحات المختلفة.

- السعي لنشر الثقافة المعجمية و المصطلحية، والوقوف ضد محاولة تجاهل العقد المصطلحي، أو التصرف الاعتباطي والعشوائي بالمصطلح النقدي .

- تأكيد أن مهمة الباحث العربي الحديث لا تقتصر على عملية ترجمة المصطلح الأجنبي، وإنما تتعدى ذلك إلى عملية وضع المصطلح الجديد.

- تأكيد أن المصطلح ليس مجرد وحدة معجمية اعتيادية، وإنما هو مسألة معرفية ومفهومية قبل كل شيء.

- السعي لحل الإشكال الناجم أحيانا عن ترجمة المصطلح من عدد من اللغات الأجنبية الأصلية وذلك عن طريق عمل جماعي مشترك، يعتمد على دلالة المصطلح المعرفية لحل أي لبس أو اختلال محتمل.

- تشجيع المؤسسات الثقافية والجامعية ، والمجامع العلمية العربية وهيئات التعريب في الوطن العربي على مواصلة العمل على نشر المعاجم الاصطلاحية، وعقد المزيد من الندوات و الحلقات الدراسية الخاصة بالمصطلح النقدي العربي، والقديم منه خاصة.

ورغم اتسام هذه المقترحات بالجدية، ورغم الوعي الشديد بالأزمة الراهنة للنقد الأدبي العربي، إلا أن هذه الاقتراحات تتسم بالفردية من جهة وعدم المتابعة من جهة ثانية مما جعلها تظل حبرا على ورق، مادامت العملية النقدية هي عملية ذاتية وفي غياب وصاية أو هيئة جامعة تعمل على جمع الجهود العربية للقيام بإجراءات عملية تخرج النقد العربي من أزمته، ولابد من الإشارة إلى الجهود المعتبرة لنقادنا الجزائريين في هذا المجال نذكر منهم " رشيد بن مالك" في قاموسه مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص و"عبد الرحمان الحاج صالح" في معجمه المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، و" يوسف وغليسي " في كتابه إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد.

الإحالات والمراجع:

[1]- إبراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، د ت ، مادة صلح، ص135.

[2] - ابن منظور ، معجم لسان العرب ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، مج 1 ، مادة صلح ، ص60.

[3] - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، مادة صلح ص 574.

[4] - يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1 ، 2008، ص22.

[5] - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 4 ، 1998 ، ص44.

[6] - عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص146.

[7] - عمر عيلان ، النقد العربي الجديد مقاربة بين نقد النقد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 ، ص 43

[8] - عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط 2005 ، ص 283.

[9] - يوسف وغليسي ، المرجع السابق ، ص 22.

[10] - يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، المرجع السابق ، ص 24.

[11] - أحمد مطلوب ، في- المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، د ط ، 2002 ، ص 235.+-

[12] - عبد العزيز الدسوقي ، نحو علم جمال العربي ، سلسلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب الكويت ، مج

9، ع 2 ، ص 128.

[13] - أنيس إبراهيم ، من أسرار اللغة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، ط 6 ، 1987 ، ص 62.

[14] - عبد المالك مرتاض ، صناعة المصطلح في العربية ، مجلة اللغة العربية للمجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، ع 2 ، 1999، ص 29.

[15] - إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية و خصائصها ، ص 214.

[16] - عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 25.

[17] - جورج مونان ، المسائل النظرية في الترجمة ، ترجمة لطيف زيتوني ، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، لبنان، ط1994،1 ص22.

[18] - عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ، مرجع سبق ذكره، ص 21.

- يوسف وغليسي ، مرجع سبق ذكره ، ص42.[1]

[19] - احمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 23.

[20] - محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 3 ، 1964 ، ص 417.

[21] - أحمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، مرجع سبق ذكره ، ص 24.

[22] - يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، مرجع سبق ذكره ، ص 53.

[23] - نفس المرجع ، ص54.

[24] - رشيد بن مالك ، مقدمة في السيميائية السردية ، دار القصبة ، د ط ، 2000، ص 72.

[25] - نفس المرجع ، ص 71.

[26] - توفيق الزيدي ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د ط ،1984 ، ص 15.

[27] - وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم و النقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، د ط ،1996،ص10.

[28]- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 199.

[29] - عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 287.

[30] - نفس المرجع، ص 279.

[31] - عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 199.

[32] - نفس المرجع، نفس الصفحة.

[33] - عبد الملك مرتاض، السبع المعلقات (مقاربة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص182.

[35] - نفس المرجع،ص 216.

[36] - عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، مرجع سبق ذكره،ص 101.

[37] - ابراهيم أحمد ملحم، الخطاب النقدي و قراءة التراث نحو قراءة تكاملية ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، ط1 ، الأردن ،2007، ص 169،168.

[38]- ابراهيم أجمد ملحم،مرجع سبق ذكره ، ص 172،171.